King Faisal
PRIZE

طرق التجارة في العالم الإسلامي

الأستاذ الدكتور محمد وهيب حسين سيرة ومسيرة

الأستاذ الدكتور محمد وهيب حسين من مواليد الأردن في اليوم السابع من شهر يوليو عام 1962م، تلقى تعليمه الابتدائيّ والإعداديّ والثانويّ في عمّان بالمملكة الأردنيّة الهاشميّة، والجامعيّ في الجامعة الأردنيّة بعمّان التي حصل منها على درجة البكالوريوس في تخصّص الآثار عام 1980م، والماجستير في التخصّص نفسه عام 1985م، وحصل على درجة الدكتوراه من تركيا في مجال المعادن القديمة في وادي عَرَبَه بالأردن عام 1988م، ثم عاد إلى الأردن ليعمل في بداية الأمر في دائرة الآثار العامة بوزارة السياحة الأردنيّة، ثم انتقل منها إلى الجامعة الهاشميّة بمدينة الزرقاء في الأردن عام 2002م ليعمل أستاذً مساعداً في كليّة الملكة رانيا للسياحة والتراث، وفيها رُقِّي إلى رتبة أستاذ مشارك عام 2008 م، ثم إلى أستاذ في العام 2015م لينطلق في مسيرة ناصعة من العمل العلميّ الجادّ والمثمر في مجال البحث والتنقيب والتميّز العلمي الذي صاحب مسيرته حتى اليوم.

ويعدّ الدكتور محمد وهيب حسين من القلائل من علماء الآثار الأكاديميين الذين جمعوا بين مهارة التنقيب عن الآثار، والمقدرة العلميّة البحثيّة على استنطاقها بدراستها وتحليلها، وتوظيف مدلولاتها التوظيف العلميّ السليم، خدمة لتاريخ البشرية، والعمل على تقدّم المعرفة الإنسانيّة بالأمكنة الأثريّة في بلادِهِ، وبما أُكتشف في باطن أرضها التاريخيّة من تراث الأجداد الأصيل، وبما كان لها من أهميّة تاريخيّة وحضاريّة واجتماعيّة واقتصاديّة في سِنِيِّ ازدهارها، وقبل اندثارها.

ولا يستطيع المرء، مهما أوتي من استعداد فطريّ، الجمع بين مهارتَيْ التنقيب عن الآثار، والعمل على دراستها دراسة علمية إلا لمن صقلته الخبرة والتجربة الميدانية كتلك التي صقلت الدكتور محمد وهيب حسين على مدى سنين طويلة. لقد تلقى منذ وقت مبكّر تدريبات مكثفّة على الكشف والتنقيب مع فرق وطنيّة وأجنبيّة، حيث شارك في أثناء مرحلة التحصيل الدراسيّ في الجامعة الأردنية مع حملة الجامعة للتنقيب عن الآثار في موقع تلّ المَزَار بالأغوار الوسطى، وشارك في عام 1984م، مع البعثة الكنديّة للتنقيب عن الآثار في موقع تلّ سافوط بالقرب من صُوَيْلِح المعروف بالأردن، فضلًا عن مشاركته في حفريّة مقابر الدولمنز، وكذا أعمال التنقيب الأثريّة في موقع المقصّ في العَقَبَة.

إن الانطلاقة الأقوى في مسيرة الدكتور محمد وهيب في الكشف والتنقيب عن الآثار تزامنت مع عودته من تركيا، وعمله في دائرة الآثار العامة بوزارة السياحة، حيث عمل على تشكيل فريق وطنيّ للعمل الميدانيّ في حقل الآثار بدءًا بإجراء أعمال التنقيب الأولى في موقع قصر الموقر في البادية الأردنية، وفيه جرى على يديه اكتشاف أضخم قصر من القصور الأموية المعروفة تاريخيًّا في بادية الأردن وسوريا. وفي العام 1996م تمكّن الدكتور محمد وهيب والفريق العامل معه من اكتشاف سبيل الحوريّات في وسط العاصمة الأردنية، وهو معدود من المباني النادرة في العالم، وأحد أجزاء مدينة فيلادلفيا التاريخيّة القديمة، وقد أسفر التنقيب في هذا الموقع عن اكتشاف تماثيل حجريّة وحيوانيّة على جانب كبير من الأهميّة.

وبعد التحاقه بالجامعة الهاشميّة قاد الدكتور وهيب أعمال التنقيب في أضخم مقبرة في تاريخ الشرق القديم في منطقة الأغوار الجنوبية بُغية إزاحة الستار عن ديار نَبِيّ الله لوط عليه السلام, وهو اكتشاف تبعه مشروع اكتشاف أول ميناء رومانيّ في الزارة على الشاطئ الشرقي للبحر الميّت. وفي العام 1996م عمد الفريق الوطنيّ للتنقيب عن الآثار في الأردن بقيادة الدكتور محمد وهيب إلى اكتشاف موقع عماد السيد المسيح في منطقة الشونة الجنوبيّة المعروفة على الشاطئ الشرقي للبحر الميّت، وهو من الاكتشافات المهمّة على مستوى الشرق الأوسط، والمستوى العالميّ، مما أدّى إلى اعتماده على قائمة التراث العالميّ باليونسكو. وقد ترتّب على هذا الاكتشاف ظهور حقائق علميّة جديدة صحّحت مفاهيم خاطئة كانت سائدة قبل هذا الاكتشاف المهم. تَلَا ذلك اكتشاف الدكتور محمد وهيب طريق الحجّ المسيحيّ القادم من القدس في اتّجاه موقع العماد وصولًا إلى تلّ حسبان الأثريّ. يضاف إلى ذلك قيادته لعدة مشروعات ثقافيّة وعلميّة وميدانيّة، منها مشروع توثيق عراق الأمير السياحيّ، وبصورة خاصة توثيق اكتشاف كهف السيد المسيح، ومشروع اكتشاف ديار نبيّ الله لوط سابقة الذكر في النقع بغور الأردن. ومن دلالاته المهمة ربطه بين الإعجاز القرآنيّ وعلم الآثار.

ومن المشروعات العلميّة الميدانيّة التي قادها الدكتور وهيب مشروع اكتشاف أضخم طائر زاحف في العالم يُسمى أرامبورجينا فيلادلفيا، ومشروع اكتشاف كهف الرقيم المذكور في الآية (9) من سورة الكهف، ويقع في جنوب شرقيّ عمّان، وخلاف ذلك من المشروعات الميدانيّة البحثيّة الأخرى، الموزّعة في أمكنة كثيرة من المملكة الأردنية الهاشميّة.

ويُحسب للدكتور محمد وهيب إسهاماته المميّزة في عدد من المسوحات الأثريّة في الأردن، منها مشروع مسوحات الطُّفَيْلَة في الأغوار الجنوبيّة للأردن، ومشروع مسوحات رأس النَّقَب في العقبة، وخلافها في طاسان، وسويمرة، ودبة حانوت، والمزفر وغيرها.

وقد أثمرت تلك المسيرة الطويلة من التنقيبات والمسوحات الأثرية للدكتور وهيب في إنجاز سلسلة من البحوث والدراسات القيّمة المتمثّلة في عشرات البحوث العلميّة المنشورة في مجلات علميّة محكّمة محليّة وإقليميّة ودوليّة، وخمسين كتابًا باللغات العربيّة والانجليزيّة والإيطاليّة، عالج فيها الدكتور وهيب موضوعات شتّى في علوم الآثار والسياحة والتراث الماديّ وغير الماديّ. ومن تلك الكتب: كتاب: **اكتشاف عماد المسيح (المغطس)**، وكتاب: **اكتشاف ديار النبي لوط في الأغوار الجنوبية**، وكتاب: **اكتشاف كهف الرقيم**، وكتاب: **السياحة من نافذه الحافلة**، وكتاب: **الحكاية الشعبية**، وكتاب: **اكتشاف سبيل الحوريّات** في عمّان (فيلادلفيا).

وتوّج تلك الكتب الخمسين بكتابه الشهير: **طريق الإيلاف المكي: رحلة الشتاء والصيف في الأردن**، وهو كتاب مهم في بابه، ومذكور في سورة من كتاب الله تُتْلَى إلى أن تقوم الساعة، وما من أحد من الباحثين والدارسين ومحبّي القراءة والاطلاع حينما يقلّب صفحات تاريخ الجزيرة العربية قبيل الإسلام إلا وموضوع الإيلاف يحتّل الصدارة من تلك الصفحات. وقد أجاد الدكتور محمد وهيب في تأليفه لهذا الكتاب الذي جاء في ستة فصول: تحدّث في الفصل الأول عن الأحوال التاريخية والتجارية وطرق القوافل، ودول الجوار قبل ظهور الإيلاف، وفي الفصل الثاني تحدّث عن الجغرافيا الطبيعية للطرق ومساراتها في بلاد الشام، وعن ذكر الإيلاف في المصادر والمراجع، وتناول في الفصل الثالث مفهوم الإيلاف في اللغة، وأبعاده الاقتصادية والاجتماعية، وفي الفصل الرابع تحدّث عن محطّات طريق الإيلاف ومسالكه، أو مساراته في المملكة العربيّة السعوديّة، واليمن، وفلسطين.

أما الفصل الخامس فخصّصه لتوثيق مسارات طريق الإيلاف الثلاثة داخل الأردن موزّعة على بادية الأردن ومرتفعاتها وأغوارها. وخصّص الفصل السادس للخاتمة والتوصيات بما فيها اقتراحه ترشيح طريق الإيلاف على قائمة التراث العالميّ لليونيسكو، وزوّد الدكتور وهيب كتابه بملاحق على جانب كبير من الأهميّة ضمّت عددًا ليس قليلًا من الخرائط والصور الميدانيّة، وجداول المواقع الأثرية المعنيّة بالدراسة.

ويُحمد للدكتور وهيب أمانته العلمية، واعترافه بجميل من لهم الفضل في تقديم المساعدة له في أثناء جمعه لمادة هذا الكتاب، يتضح ذلك من خلال كلمة الشكر الجزيلة التي صدّر بها كتابه، وخصّ بطرف منها الباحثين والدارسين في جامعة الملك سعود الذين أثنى عليهم، وعلى جهودهم المبذولة في نشر الأبحاث والدراسات حول مكة وطريق الإيلاف، وتاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام منوّهًا بتواصله معهم، واستفادته من جهودهم البحثيّة. كما أثنى على جهود هيئة التراث في المملكة العربيّة السعوديّة، وحرصها على تطوير قطاع التراث وحمايته والمحافظة عليه، ودعمها لمشاريع الطرق والكتابات والنقوش، ويُحمد له أيضًا استعراضه للدراسات السابقة التي عُنيت بطريق الإيلاف؛ وتلك من مقتضيات مناهج الباحثين الملتزمين؛ فهي من ناحية تحفظ حقوق سابقيهم، ومن ناحية أخرى تقود إلى معرفة النقص الذي ينبغي استيفاؤه، والجديد التي تضيفه، وقد أضاف الدكتور وهيب في دراسته الشئ الكثير إلى طريق الإيلاف ومساراته في المملكة الأردنية الهاشمية.

وقد قرّض كتاب: **الإيلاف المكي** لمؤلفه د. محمد وهيب غير واحد من العلماء البارزين ذوي الاختصاص الذين حكمّوه لغرض منحه جائزة الملك فيصل في حقل الدراسات الإسلامية، وما منهم إلا وأثنى عليه، وعلى مضامينه، والجهد المبذول فيه، والمنهج المتّبع في تأليفه. وها هو أحدهم يقول عنه في عدّة نقاط من تقريره:

"1- أعاد الكتاب طرح موضوع الإيلاف القرشي ضمن منظور جغرافي أثري ميداني لا يقتصر على النصوص التراثية في إسهام علمي جديد. كذلك قدّم أول توثيق منهجي لمسارات الإيلاف داخل الأردن, ما يربط الجغرافيا التاريخية والتخطيط السياحي المعاصر.

2- دَمَج الكتاب بين النص القرآني والتاريخ المادي, مؤكدًا على أن الإيلاف ليس فقط ظاهرة اقتصادية, بل منظومة عقدية واجتماعية ساهمت في تهيئة البيئة لظهور الإسلام, مما يشير إلى إسهام جديد في الدراسات الإسلامية.

3- طرح الكتاب رؤية لإحياء الإيلاف كمشروع تراثي وسياحي وتنموي بالتعاون بين السعودية والأردن ضمن مبادرات مثل مشروع نيوم, وهو ما يولد إسهامًا تطبيقيًّا.

4- يمثّل الكتاب مرجعًا تأسيسيًّا لدراسة طريق الإيلاف من منظور علمي حديث، إذ يمكن اعتباره مرجعًا مساعدًا لمشروعات إحياء التراث الثقافي والطبيعي في الجزيرة العربية. وكذلك نواة لدراسات مستقبليّة في الجغرافيا التاريخيّة للإسلام المبكر، أو دعامة لمشروع توثيق التراث غير المادي في الأردن والسعودية تحت مظلة اليونيسكو".ويقول عن المنهجيّة العلميّة المتّبعة في تأليف الكتاب: "اعتمد المؤلّف منهجًا متعدّد المقاربات، يجمع بين المنهج التحليليّ المتمثّل في مراجعة المصادر العربية والإسلامية وتفاسير القرآن الكريم (الطبريّ، القرطبيّ، ابن كثير، البَغَويّ). كذلك تتبّع المنهج الأثريّ الميدانيّ عبر مسوحات وتنقيبات محدودة، مع توثيق جغرافيّ لمواقع محطات الطريق داخل الأردن. بالإضافة إلى المنهج الجغرافي التطبيقي باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GPS), والتصوير الجويّ، وتقنيات الواقع الافتراضيّ.

وأيضا المنهج المقارن بالمقارنة بين طريق الإيلاف، وطرق التجارة العالميّة القديمة ومنها: طريق الحرير, وطريق البخور". ويخلص هذا المحكم إلى القول: "يُعد الكتاب إسهامًا رياديًّا في ربط النصّ القرآنيّ بالمُعطى الجغرافيّ الأثريّ، مقدّمًا نموذجًا عربيًّا أصيلًا في البحث الميدانيّ حول طرق التجارة القديمة ... وبذلك، فإن هذا العمل يعتبر إضافة نوعيّة للبحث الإسلاميّ والجغرافيّ في العالم العربيّ، ويظهر إمكانيّة تحويل التاريخ إلى مشروع تنمويّ معاصر، وجامع بين العلم والتراث والهويّة". ويقول آخر: "يمثّل الكتاب دراسة ميدانيّة وشبه تاريخيّة لمحاولة تحديد معالم طريق تجاريّ – دينيّ مرّ بالأردن، وعَكَسَ نجاحًا جديدًا في ربط النصوص الإسلاميّة بالجغرافيا والأركيولوجيا [الآثار]، ويصلح مصدرًا داعمًا لمشاريع تطوير السياحة التراثيّة الإسلاميّة... لكنه مع ذلك مهم ومثير للاهتمام في نطاق دراسات التراث والطرق القديمة. كما ركّز على إعادة اكتشاف وتوثيق المعالم الأثريّة والتجاريّة والدينيّة التي رافقت القوافل من خلال رحلة الشتاء والصيف المذكورة في القرآن الكريم. وقدّم وصفًا دقيقًا لمسارات القوافل التجاريّة في الأردن... كما يمكن اعتبار الكتاب محاولة للسعي للبدء بجمع تراث طريق الإيلاف، وتوثيقه، وحفظه، وتوفير الفرص للباحثين للرجوع إليه في كتابة التراث غير الماديّ، ليس في الأردن فقط، بل وفي بلدان العالم العربيّ التي يعبر طريق الإيلاف من خلالها".

ويُحسب للدكتور محمد وهيب نشاطه في العمل العام، وفي خدمة جامعته ومجتمعها، وحضوره الفاعل في المؤتمرات والندوات والمحاضرات وورش العمل. وله مشاركات فاعلة في أكثر من 50 مؤتمرًا دوليًّا، وأسس في مدينته الزرقاء مؤتمر الوئام الإسلاميّ المسيحيّ، وكذا مؤتمر تاريخ وآثار الزرقاء، وعَقَد عشرات الورش العلميّة والثقافيّة بالتعاون مع الهيئات العلميّة والثقافيّة في محافظة الزرقاء، وألقى عشرات المحاضرات في كافة أنحاء المملكة الأردنيّة الهاشميّة. وهو عضو فاعل في عشرات الجمعيّات غير الحكوميّة.

وحَصَدَ الدكتور محمد وهيب عددًا من الجوائز المحليّة والدوليّة منها: جائزة عبدالحميد شومان للشبّان العرب، وجائزة المشروع النهضويّ لإنقاذ القدس الصادرة عن اتّحاد الكتّاب والأدباء الأردنيّين للعام 2008م، وجائزة الباحث المتميّز من المنظمات السياحيّة الإيطاليّة في مدينة بياتشانزا، وجائزة الإبداع والتميّز في الجامعة الهاشميّة، وجائزة ووسام الأردن الأفضل عام 2013م، ثم جائزة الملك فيصل في حقل الدراسات الإسلامية للعام 2026م التي مُنحت له تقديرًا له "لاتسام أعماله بقيمة علميّة عالية، وأصالة ميدانيّة واضحة، استندت إلى مسوحات أثرية مباشرة ومدعومة بتوثيق إحداثيّ دقيق باستخدام نظم تحديد المواقع (GPS) مع خرائط تحليليّة تفصيليّة عزّزت موثوقيّة النتائج، وتميّز منهجه بالربط بين النصّ القرآنيّ والمعطيات الجغرافيّة والميدانيّة، مما قدّم قراءة علميّة متوازنة لطريق الإيلاف المكيّ في سياقه الجغرافيّ والتاريخيّ. وعُدّ عمله إضافة نوعيّة في توثيق طرق التجارة المبكرة في شبه الجزيرة العربيّة". وتُعدّ هذه الجائزة تتويجًا لمسيرته الحافلة بالعمل الجادّ والمثمر في الميادين التي اختطّها لنفسه، وبرّز فيها بما قدّم من عطاءات خالدة ومتنوّعة.

أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي